رئيس التحرير المسؤول
العميد منير عقيقي

الإنتحار اللبناني

يصر اللبنانيون على رفض التعلم من تجاربهم العديدة والكثيفة. ويصرون ايضا على المضي في مسالك التهلكة كأنها نصوص مقدسة لا يراجعونها ليميزوا بين الغث والسمين منها. كل من يأخذ مسافة من المشهد اللبناني يرى بعين الحقيقة ان اللبنانيين ينتقلون من تجربة انتحار الى اخرى، ومن دون ان يزيحوا قيد انملة عن مغامراتهم الطائفية والمذهبية والمناطقية، اذ تتقدم هذه العصبيات على المواطنة، وما زالوا على قناعتهم بأن الهويات الطائفية هي الضمان وليست الدولة.

حتى اللحظة، ما من ازمة دستورية او سياسية وحتى امنية، الا وكان لها مقدماتها الحسية والملموسة. وكل ما نزل بالبلد قبل الحرب الاهلية العبثية، وبعد اقرار اتفاق الطائف، الا وكانت وقائعه الدامغة تنشأ وتنهض امام اعين اللبنانيين الشاخصة فقط على الطائفة او المذهب بوصفهما الملجأ الآمن. وطالما ان اللبنانيين على سردياتهم ذاتها، فما من شيء يمنع ان يكون لهذه النكبات مثيلاتها في المستقبل، وفي سائر المناطق اللبنانية التي صارت اقرب الى غيتوهات بعناوين مذهبية وطائفية. ودائما المشهد عينه: اراقة دماء، قطع طرقات، الدفع بالموتورين الى الساحات والطرقات التي تتحول الى ميادين حرب وجبهات متقابلة.

لا يُقرأ ما جرى ماضيا، وما يجري حاليا الا في اطار الميل العارم لدى غلبة من اللبنانيين لتوسل العنف للتحشيد ولشد العصبيات المتخلفة والمعدومة الافق. ودائما يكون هذا العنف مدفوعا ومشحونا بـ"جاذبية الأهداف والمصالح " التي يرومها هذا السياسي او ذاك. المريع في هذا السياق ان استخدام العنف، على ما سببه من ويلات ومآس على البلد واهله، وذاق مرّه الاقربون والابعدون، لم يردع احداً عن استخدامه وتوسله. لا بل على العكس من ذلك، فإن استعراضه يأتي بشكل تدريجي ومتصاعد، ليعبّر عن استعداد من يستخدمه للذهاب الى حد تفجير البلد.

الاكثر مدعاة للاستغراب والمفاجأة، ان من يجعل من لبنان مسرحا للنكد السياسي والتجاذبات والكيديات والانقسامات، هم الذين يفترض انهم مؤتمنون على السلم الوطني والازدهار وحماية الانسان وضمان حريته وحقوقه. وظيفتهم ودورهم الاساس في الحالات الطبيعية، العمل على نقل وطنهم وشعبهم نحو الافضل، فكيف اذا كانت الحال على ما هو عليه البلد حاليا، خصوصا الازمة البنيوية التي نعيشها منذ اشهر، ويسعى العهد والحكومة وبكل اخلاص، الى ايجاد الحلول لها بالرغم من عدم وجود افق مرئي للخروج منه اذا بقيت الممارسة السياسية الحالية المبنية على المصالح الشخصية والمهاترات الكيدية.

لا يُبرأ مما يجري كل من يتحصن بطائفته بإزاء الاستقرار الوطني العام الذي يبقى معلقا على اهواء الاحتدام الطائفي، والذي تقدم بأشواط على معالجات ازمات البطالة والنازحين واللاجئين والنفايات والانكماش الاقتصادي الذي يخنق البلاد والعباد، ومن دون ان يرف جفن صانعي المسرح السياسي. فهم بسياساتهم يدفعون اللبنانيين عن سابق تصور وتصميم نحو انتحار يشبه انتحارات مماثلة وممتدة على طول التاريخ اللبناني.

الحال على ما هي عليه، فإن المناشدات الاخلاقية التي تدعو الى لجم هذه الميول العنفية تمكنت والحمدلله، وبمساع حميدة وخيّرة عمل لها رجالات وطنيون مميزون، من ضبط الامور والعودة الى الاحتكام الى الدولة والدستور والقانون، لأن المتصارعين في الاساس خرجوا من اطار الاحتكام الى المصلحة الوطنية، واتجهوا الى سرديات طائفية ومذهبية، بما فيها استحضار كل الماضي الرهيب. حتى ليخال للبعض ان ما يفعله الغالب من السياسيين عندنا لا يأتي عفو الخاطر، بقدر ما هو سياق متبادل بين الجميع لابقاء النظام السياسي في مربع العطب الطائفي، او الرهان على تطورات اقل ما يقال عنها انها تأخذ البلد الى مكان لا يحمد عقباه.

إلى العدد المقبل